

من الاهتمام والدراسات ما لم يأخذه غيرها لاختلاف الآراء حولها، فالغلو منهج دخيل وظاهرة خطيرة لها انعكاساتها على حياة الجماعات والأفراد، فكرياً وسلوكياً، في كل العصور والأزمان، غير أنه عانى وما زال يعاني من الخلل في صورته التطبيقية والالتباس الواضح بين مدلولاته.

فكانت هذه الدراسة لتوضيح مفهوم الغلو، وبيان أسبابه وموقف الإسلام منه بصورة منهجية صحيحة مستقاة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه (ﷺ). ثم بيان الآثار السلبية الفكرية والسلوكية المترتبة على الفرد والجماعة.

ومن هنا أصبح لزاماً على كل فرد تحديد المقياس الذي يعرف به السلوك السليم، وتحري الطريقة الصحيحة في التفكير الموصل إلى هذا السلوك.

ولقد حاول الباحث في هذه الدراسة التركيز على الخلل الواضح الذي يسببه الغلو في فكر الإنسان وما ينتجه من أخطاء كبيرة في التفكير.

وعليه فموضوع الدراسة قد يساعد في التنبيه إلى الآثار السلبية للغلو على الفكر والسلوك الإنساني، ومن ثم تصحيح المنهج وإيضاح الرؤية لتمكين الأمة الإسلامية من القدرة على مواجهة القضايا التربوية المعاصرة، ونواتجها السلبية بحيث تعينها على الاستمرار والعطاء.

مشكلة الدراسة

تبرز مشكلة الدراسة من وجود أثر سلبي للغلو في سلوك الإنسان وطرائق تفكيره، الأمر الذي يسبب مشكلات سلبية تسهم في هدم النظام المجتمعي والتربوي وأمانه النفسي، وعليه فتسعى هذه الدراسة إلى سد بعض الثغرات في هذا المجال، من خلال دراسة مفهوم الغلو، وتحديد موقف الإسلام منه وصولاً إلى آثار الغلو على فكر الإنسان وسلوكه، وتفعيل الدور التربوي في الوقاية من الانحراف الفكري (الغلو) لتصحيح المسار وتوضيح الرؤى وتنقية الفكر، والعودة إلى الإسلام منهجاً وشرعية.

أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة في:

- ١- اتصال موضوع الدراسة بالواقع المعاصر، الأمر الذي لا يمكن تجاهله خاصة إذا ساد المصطلح الكثير من اللبس والغموض، في ضوء تكلم الغربيين والعرب، المختصين وغير المختصين بشأن هذه القضية، لذلك احتاج الأمر إلى معالجة علمية تربوية بدلاً من الإهمال.
- ٢- تجدد موضوع الدراسة بعد كل حدث عالمي، بحيث أصبح المصطلح فضفاضاً أدخلت فيه الكثير من القضايا التي ليس له صلة بها جراء تسليط الإعلام الذي يخدم فكرة أو تياراً غربياً بهدف إلصاق الجرائم بالإسلام والمسلمين.

أسئلة الدراسة

ستحاول الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية:

- ١- ما هو الغلو وما هي أسبابه؟
- ٢- ما الانعكاسات السلبية للغلو على الفكر والسلوك؟
- ٣- ما وسائل التأثير الفكري؟
- ٤- ما أخطاء التفكير الناتجة عن الغلو؟
- ٥- ما الدور التربوي الوقائي من الانحراف الفكري (الغلو)؟

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى ما يلي:

- ١- توضيح مفهوم الغلو.
- ٢- بيان الانعكاسات السلبية للغلو على فكر الإنسان وسلوكه.

٣ - تحديد وسائل التأثير الفكري للغلو.

٤ - بيان أخطاء التفكير الناتجة عن الغلو.

٥ - بيان الدور التربوي الوقائي من الانحراف الفكري (الغلو).

منهجية الدراسة

تستند الدراسة إلى المنهج الوصفي التحليلي، الذي يقوم على وصف الظاهرة ثم تحليلها للوصول إلى معرفة أسباب ودوافع الغلو، ثم الوصول إلى نتائج وتوصيات تربوية تطبقها مناهج التربية الإسلامية للوقاية منه. وتنتمي هذه الدراسة إلى حقل التربية الإسلامية.

مصطلحات الدراسة

الغلو: هو المبالغة والزيادة في حجم الأمور، حيث يعد مرضاً ملموساً في فكر الإنسان ويسبب خللاً واضحاً في سلوكياته المنطلقة من مستوى تفكير منحرف عن المسار الصحيح، الأمر الذي ينتج قضية شائكة ذات آثار سلبية في كل المجالات الحياتية داخل المجتمع.

الفكر والتفكير: التفكير هو عملية معالجة للمعلومات، وتصنيف المعلومات ومقارنتها وتقييمها في ضوء منظومة الإيمان والاعتقاد والقيم، ومن ثم صياغة إستراتيجية ينتج عنها تعبير لغوي أو سلوكي كما ينتج عنها تأثيرات فسيولوجية في العضلات والتنفس وتعبيرات الوجه.

السلوك: كل الأفعال والنشاطات التي تصدر عن الفرد ظاهرة كانت أم باطنة.

الدراسات السابقة

لم يقف الباحث في حدود اطلاعه على دراسة علمية تبحث في أثر الغلو في الفكر والسلوك الإنساني بحثاً مستقلاً، ولكنه وجد العديد من الدراسات السابقة التي تحدثت عن الغلو كمعتقد، ولعل أبرز الدراسات السابقة ما يلي:

أولاً: الغلو والفرق الغالية في العقيدة الإسلامية (عرض ومناقشة). (الصالحى ١٤٢٠هـ)

وجاء في الدراسة الحديثة عن الغلو عند الجهمية والمشبهة والجبرية والمعتزلة، وكذلك الغلو عند الخوارج والمرجئة وعند الصوفية والشيعة.

وتعد هذه الدراسة مرجعاً علمياً في الغلو لدى الفرق الغالية في العقيدة الإسلامية، وقد فصل الباحث فيها كثيراً من المسائل المتعلقة بالغلو لدى تلك الفرق، مع تحديد مفهوم كل فرقة وبيان انحرافها العقدي وغير ذلك من المسائل، كما تحدث الباحث عن غلاة الخوارج، مفصلاً القول في نشأة الخوارج وظهورهم، وموقف السلف منهم وغلوهم العملي، وفرقهم المختلفة.

ثانياً: مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر الأسباب- الآثار- العلاج. (اللويحق، ١٤٢٠هـ)

تناولت الرسالة ثلاثة محاور، وقد جاء تقسيمها كما يلي: الباب الأول يتحدث فيه المؤلف عن أسباب مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر. والباب الثاني: آثار مشكلة الغلو. أما الباب الثالث: علاج مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر وفق إطار ودراسة نظرية.

وقد فصل الباحث في القضايا التي طرحتها، وأطال فيها حتى عدها مقدم الرسالة موسوعة في مجالها.

ثالثاً: « الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة - دراسة علمية حول مظاهر الغلو ومفاهيم التطرف والأصولية » (اللويحق، ١٤١٢هـ)

تناولت هذه الرسالة مفاهيم الغلو بشقيه الاعتقادي والعملي، والحديث عن مظاهر الغلو ومجالاته، وقد ذكر الباحث تحديد مصطلحات البحث. ثم تحدث عن وسطية الإسلام، ويسره وسماحته.

وقد فصل الحديث في معنى الغلو في اللغة وفي الكتاب والسنة. و جذور الغلو في الدين وطبيعته في حياة المسلمين المعاصرة وحجم الغلو في الدين في حياة المسلمين. وبين بعد ذلك مفهوم الغلو عند العلماء المعاصرين وعند العلمانيين وعند الغربيين. وبعدها بحث في مجالات الغلو العقديّة والتشريعية ومجالات الغلو العملية والسلوكية الفردية والاجتماعية. ومن أهم النتائج في هذه الدراسة أن الإسلام دين العدل والوسطية فلا إفراط ولا تفريط. وأن الغلو في الشرع مجاوزة الحد بأن يزداد في مدح الشيء أو ذمه على ما يستحق.

رابعاً: ظاهرة الغلو في الدين في العصر الحديث (محمد عبد الحكيم ١٤١١هـ)

وجاء تقسيم الدراسة إلى مفهوم الغلو وحكمه وتاريخه، ثم مظاهر الغلو في العصر الحديث وأسبابه وعلاجه، حيث بين الباحث فيها موقف الإسلام والديانات السابقة، وأبرز مظاهره وأبرز الفرق التي ينتشر فيها الغلو، كما تحدث عن أسباب هذا الغلو وكيفية علاجه.

وتختلف دراستي عن الدراسات السابقة بأن الدراسات السابقة تحدثت عن الغلو وتعريفه وأبرز مظاهره. في حين جاءت دراستي مركزة على أثر الغلو على فكر الإنسان وتفكيره.

مفهوم الغلو ومسبباته

أولاً: مفهوم الغلو وبيان المصطلحات ذات الصلة به

مفهوم الغلو لغةً واصطلاحاً.

١ - مفهوم الغلو لغةً

الغلو بضم الغين مشتق من الجذر الثلاثي (غ، ل، و)، وبالرجوع إلى المصادر والمعاجم اللغوية يظهر أن الغلو يدور على عدة معان هي:

مجازة الحد

قال ابن فارس: الغين واللام والحرف المعتل: أصل صحيح يدل على ارتفاع ومجازة قدر، يقال: غلا السعر يغلو غلاءً، وذلك ارتفاعه، وغلا الرجل في الأمر غلوًا إذا جاوز حده. (ابن فارس، معجم المقاييس، ١٤١٨هـ)

وقال الجوهري: وغلا في الأمر يغلو غلوًا، أي جاوز فيه الحد (الصحاح). وقال ابن منظور صاحب لسان العرب: وغلا في الدين والأمر يغلو غلوا: جاوز حده. (ابن منظور، لسان العرب، ١٤١٠هـ)

الارتفاع

قال ابن منظور في اللسان: (... أصل الغلاء: الارتفاع ومجازة القدر في كل شيء..... يقال: غالت صدق المرأة أي أغلته. ومنه قول عمر (ألا لا تغالوا في صدقات النساء) وفي رواية: (لا تغالوا في صدقات النساء). أي لا تبغالوا في كثرة الصدقات.

وغلا في الدين والأمر يغلو غلوا: جاوز حده. وقال بعضهم: غلوت في الأمر غلوا وغلانية وغلانية إذا جاوزت في الحد وأفرطت فيه، ويُقال للشيء إذا ارتفع: قد غلا. (ابن منظور، مرجع سابق).

التشدد: قال الفيومي في المصباح المنير: (... وغلا في الدين غلوا من باب قعد وتصلب وتشدد حتى جاوز الحد (الفيومي، المصباح المنير) وفي التنزيل: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (٧٧) (المائدة).

المبالغة: (غالى في أمره مغالاة بالغ) (الفيومي، مرجع سابق).

الزيادة: ومنه غلا الثمن: إذا ارتفع وزاد سعره. وغلت القدر: إذا زادت حرارتها وارتفعت. وغلا في مشيه: إذا أسرع وزاد فيه (ابن فارس، مرجع سابق).

ومما سبق يتبين للباحث أن الغلو في سائر استعمالاته يدل على «الارتفاع والزيادة ومجازة الأصل الطبيعي أو الحد المعتاد».

كما يرى الباحث أنه من الضرورة بمكان تحديد سمات الفعل المغالى فيه كمقياس لفهم الغلو في مجالات الحياة والذي يمكن استنتاجه من المعاني اللغوية وهي:

فالذي يتضح للباحث بعد استقراء المعاني اللغوية لمصطلح الغلو، أنه بالإمكان تحديد مجموعة من صفات تنسب لأفعال الغلاة، تعدّ مقياساً ابتدائياً يرافق أي فعل إنساني يتصف بصفة الغلو، ومن ذلك:

١ - يتصف الفعل الإنساني بالسرعة والتهور.

٢ - فيه تكلف وخروج عن المعهود.

٣ - فيه نوع من الغرابة، ويمكن ملاحظتها بسهولة؛ لأنها ظاهرة للعيان.

٤ - يتبدئ بشعور داخلي يغلب عليه سمة الإنجاز والإبداع، ولكنه سرعان ما ينتهي بالضيق.

٥ - ينشأ عن تصور داخلي ثم ينتقل إلى الفكر وبعدها يعم

٦ - السلوكيات جميعاً.

٧ - فيه من السمات الحسنة كالهمة والتعمق ولكن في غير موضعها.

٨ - نظراً لعدم اتفاق الفعل مع الطبع أو الفطرة السليمة فتغلب عليه سمة الآنية وعدم الديمومة.

٩ - يلحظ في الفعل التعسير وتكليف ما لا يطابق لذا يؤول إلى الترك والقطع.

٢ - مفهوم الغلو اصطلاحاً

من خلال استقراء مجموع المصادر التي عنيت بالحديث عن الغلو وجد الباحث أن تعريفاتهم للغلو تنقسم إلى صيغتين هما:

١ - تعريف مفهوم الغلو بصورة مطلقة دون تخصيص وقد جاءت بصورة موجزة، وهذه بعض تلك التعريفات:

أ - قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: « الغلو: مجاوزة الحد بأن يزداد في الشيء في

حمده أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك» (تقي الدين ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، ١٤١١هـ).

ب- وعرفه الحافظ ابن حجر - رحمه الله - بأنه: «المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد» (العسقلاني، فتح الباري).

٢- تعريف مفهوم الغلو بصورة مقتصرة على تخصيصه في مجال الدين فحسب، وضابط الغلو هنا هو تعدي ما أمر الله به وهو الطغيان الذي نهى الله عنه في قوله: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ ﴿٨١﴾ (طه).

ومن تعريفات الغلو في الدين: هو مجاوزة ما شرعه الله بقول أو فعل أو اعتقاد (حامد، ظاهرة الغلو في الدين، مرجع سابق)، أو المجاوزة للحدود الشرعية الكلية الاعتقادية أو الجزئية العملية (اللوحيق، مشكلة الغلو في الدين في الوقت الحاضر).

وباستقراء مجموعة من المراجع التي عنيت بالموضوع، لاحظ الباحث على التعريفات الواردة ما يلي:

١- أن دلالة المفهوم شملت المجاوزة للحدود الشرعية سواء المجاوزة الكلية الاعتقادية أو المجاوزة الجزئية العملية المتعلقة بجزئية أو أكثر من النواحي العملية للشريعة، وبذلك يقتصر المفهوم على جانب واحد من جوانب الغلو وهو الغلو في المجال الديني.

٢- تم تسليط الضوء على الموضوع بأنه ظاهرة أو مشكلة لكن التعريف لم يشتمل على بيان حجم هذه الظاهرة ومنطقاتها.

٣- دراسة هذا المصطلح في الأبحاث السابقة ينطلق منطلقاً عقدياً وليس تربوياً، فيتضح من تعريفات العلماء بأن الغلو في ميزان الشرع هو مجاوزة الحد في الأمر المشروع، وذلك بالزيادة فيه أو المبالغة إلى الحد الذي يخرج عن الوصف الذي أراده الشارع الحكيم.

فالغلو في الدين آفة قديمة ابتليت بها الأمم من قبلنا، كما بلت بها هذه الأمة منذ

فجر الإسلام. فمن شاد الدين وغالبه، فقد خالف مقصد الشارع من التشريع، كما خرج عن سمة الأمة من العدل والوسطية.

تعريف تقتضيه الدراسة

يرى الباحث ضرورة تقديم تعريف تستلزمه الدراسة وهو:

الغلو هو المبالغة والزيادة في حجم الأمور، والذي يعد مرضاً ملموساً في فكر الإنسان ويسبب خللاً واضحاً في سلوكياته المنطلقة من مستوى تفكير منحرف عن المسار الصحيح، الأمر الذي ينتج قضية شائكة ذات آثار سلبية في كل المجالات الحياتية داخل المجتمع.

فوجود هذا المرض الفكري في الشخصية المسلمة مؤثر مهم على وجود خلل في نفسية الإنسان وفي طرائق تفكيره، وهو أمر يحتاج إلى تحليل دقيق لبيان الأسباب والنتائج وهو ما ستعنى به هذه الدراسة.

ويظن الباحث أن هذا الانحراف عن المسار الصحيح عام له صور كثيرة، فإذا بالغ الإنسان وتعدى الحدود في الاعتقاد أو العبادة أو السلوك أو الأخلاق والمشاعر أو غير ذلك في أي شأن من شؤون حياته اليومية، فهو مغال خارج عن المسار الصحيح، ويتضح ذلك بالمثال:

١- في الاعتقاد: من يغلو في تعظيم أحد من الخلق مهما علت منزلته السياسية أو الاقتصادية أو الفكرية أو من يبالغ في الحط من مكانتهم حتى يصل به الأمر إلى التكفير.

٢- وفي العبادة: من يبالغ في العبادة المشروعة فيحدث فيها عملاً لم يشرعه الله فيزيد في عدد الركعات والطواف والطهارة من باب الاحتياط. وكذلك من يحدث ويتعدى عبادة لم يأذن بها الله كالأذكار والصلوات التي ليس لها أصل في الشرع. وكذلك الغلو والإفراط في تتبع الآثار التي لم يشرعها الرسول (ﷺ).

٣- وفي السلوك: من يبالغ في الزهد فيحرم ما أباحه الله من الطيبات والنعم فيترك

أكل اللحم أو الزواج أو لبس الحسن من الثياب وغير ذلك. وكذلك من يجرم استخدام الوسائل الحديثة التي ثبت نفعها وفائدتها في المصالح العامة.

في الأخلاق والمشاعر: من يغلو في حب بعض الأشخاص، ومن يغلو في البغض والكره، وكذلك الغلو في إظهار الفرح حتى يحملة ذلك على الإسراف والبذخ وفعل المحرمات. والمبالغة في الحزن عند المصيبة حتى يحملة ذلك على الاعتراض على القدر باللطم والعويل وغيرها.

ويجدر بالباحث التنبيه على أن ضابط قياس الغلو هو المبالغة والزيادة على الحد المأذون فيه، وكما ينبغي التنبيه أيضاً على أن الشرع هو المصدر الوحيد في تعيين مدلول الغلو وفي إطلاقه على أي فعل أو قول أو سلوك في كل مجالات الحياة، ولو خالف المعتاد عند الناس وما تعارفوا عليه، ومن المصطلحات ذات الصلة بمفهوم الغلو: التطرف، الإرهاب، العنف.

ثانياً: أسباب الغلو

أشارت بعض الدراسات إلى تفسير الغلو وبيان أسبابه من خلال التفسيرات السيكولوجية والسوسيولوجية التي حاولت تفسير مظاهر وسلوكيات الشباب وتفسير نزوع البعض منهم نحو التطرف والعنف، وهذه يعبر عنها باتجاهين، هما:

١- الاتجاه السيكولوجي

يرجع أصحاب هذا الاتجاه أسباب التطرف (الغلو) إلى فقدان التوازن والاتجاه نحو نماذج عدم الامتثال مع المجتمع وقيمه ومعايير السلوكية وإلى مدى قدرة الفرد على استجابته للتغيرات الاجتماعية والثقافية والبيئية التي يتعرض لها خلال أنواع الصراع والتوتر، والتي تؤدي إلى تدعيم مشاعر الفشل والإحباط لديه، ويتوقف نوع الاستجابة سواء كانت انغزالية أو عدوانية على مدى قوة الضوابط التي توجه الذات ونوعيتها. (الجندي، التطرف بين الشباب، ١٩٩٣)

وبالمثل فإن ظاهرة العنف كما يراها الاتجاه السيكولوجي تقوم على افتراض وجود نوع من الإحباط، والشعور بالضياع، ووجود فراغ أخلاقي لدى الشباب المتصف بالعنف

والذي يفتقر إلى الإحساس بأن لوجوده رسالة أخلاقية، ومن ثم الإحساس بتفاهة الحياة، وكذلك الإحساس بضعفهم وقلة حيلتهم، فقد أخفقت التربية في إعطائهم هدفاً رفيعاً يصلح أن يكون رمزاً، أو محوراً تدور حوله حياتهم، وبينون عليه طموحهم الاجتماعي والإنساني، وهذا الفراغ الروحي والأخلاقي في حياة الشباب يعوض بتبني أهداف اجتماعية أخرى، ذات بريق كالاحتجاج على النظام الاجتماعي ككل (المجلة العربية للدفاع الاجتماعي، جرائم العنف وطرق مكافحتها، ١٩٨٢).

٢ - الاتجاه السوسولوجي

أما علم الاجتماع ومن خلال منظوره الخاص فقد اهتم بدراسة ومعالجة قضايا الشباب في صلتها بالمجتمع، وعني بدراسة الظواهر المرتبطة بسلوكهم واتجاهاتهم المتطرفة، والثورات الطلابية، والثقافات الانعزالية، والتمرد والرفض، والعنف، ودراسة قيمهم السلوكية، ودورهم في عمليات التغيير والبناء والتنمية، وذلك في ضوء الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للمجتمع، وأثره على جميع هذه العوامل على اعتبار أن الشخصية نسق تتساند فيه الدوافع والقدرات العقلية والجسمية الفطرية والمكتسبة، مع القيم والمعايير السائدة في المجتمع، وأساليب التنشئة التي تهيئ الفرد لأداء الدور المتوقع منه في المجتمع. (الجندي، مرجع سابق) وقد اتجهت بعض المعالجات في هذا المجال إلى إرجاع العديد من الأنماط السلوكية التي يلجأ إليها الشباب كالرفض والتطرف والانعزالية والاعترا ب... وغيرها إلى أسباب تتعلق بالواقع الاجتماعي الذي يعيشونه نذكر منها:

١- الصراع بينهم وبين الكبار وهو ما يطلق عليه «صراع الأجيال»، حيث يمكن إرجاع التطرف إلى الصراع بين جيل الكبار وجيل الشباب والفجوة القائمة بينهما.

٢- تأثير البناء الاجتماعي على الأنماط السلوكية (البنائية والوظيفية) وهذا المدخل يوضح أن البناء الاجتماعي توجد ضغوط واضحة يتعرض لها بعض أفراد المجتمع بسبب دوافع غير مشبعة، مما يدفعهم إلى عدم التوافق مع المجتمع وانعكاس ذلك أخلاقياً عليهم. (جرائم العنف وطرق مكافحتها، مرجع سابق)

وقد قام الباحث باستقراء شامل لما اطلع عليه من أبحاث عنيت بموضوع الغلو في الدين فوجد أنها تعددت أسباب الغلو في الدين إلى تقسيمات مختلفة، وقد كانت السمات الغالبة لها على النحو التالي:

١ - قسم بحث هذه الأسباب بحسب عدد الغلاة، فعبّر عنها على أنها أسباب بسبب الفرد أو بسبب المجتمع.

ومن أمثلة ذلك: الأسباب التي تتعلق بالمستوى الفردي فهي:

أ- الجهل بعدم معرفة حكم الله تعالى مع الغيرة على دين الله وتعظيم الحرمات وشدة الخوف من الله، فلا يتحمل الإنسان أن يرى من أخيه المسلم معصية كبيرة، ولا يتصور أن تصدر هذه الكبيرة من مسلم، لذا فسرعان ما ينقله من دائرة الإسلام إلى خارجها. وهذا الجهل ناتج عن غياب الوعي الديني والفهم العميق للنصوص وربما أدى به ذلك إلى الجرأة على الأحكام الشرعية، ومعالجة النوازل من غير أهل الاختصاص دون فهم للنصوص الشرعية ومعرفة مقاصد الأحكام والإمام بأسرار اللغة والرجوع لمن شاهد التنزيل وفهم التأويل (اللويحق، مشكلة الغلو، مرجع سابق).

ب- الهوى المؤدي للتعسف في تأويل النصوص ولي أعناق الآيات والأحاديث طلباً للشهرة والرياسة والزعامة وقد وافق ذلك نفسية مريضة من

حرفة فهي تميل إلى العنف والحدة والانحراف مما يؤدي إلى إسقاط الثقة بالعلماء، ويستقل الإنسان بنفسه وفهمه ورأيه (اللويحق، مشكلة الغلو، مرجع سابق).

أما الأسباب التي تتعلق بالمجتمع والدولة: فإن الانحلال الخلقي المدعوم أحياناً بالقانون تحت غطاء الحرية هو أحد أسباب حصول التطرف و الغلو. فمظاهر الرذيلة التي يشاهدها المسلم خاصة في المجتمعات الإسلامية في الشارع والمدرسة والجامعة والإعلام الرسمي والصحافة والإذاعة والأسواق من ناحية، والاستهزاء بالدين وحملته وتشويه صورته ومحاربه، ومحاصرة رجل الدين في فكره وإغلاق منافذ التعبير عليه، كل ذلك من أسباب نشوء

التطرف والإرهاب وردة الفعل القاسية وإن كانت غير مبررة إلا أننا نبحث في الأسباب (القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف).

٢- وقسم آخر عبر عنها بحسب المجال الذي أثر على فعل الغلو، فهي أسباب سياسية واقتصادية وتربوية وغير ذلك.

ومن أمثلة هذه الأسباب: أن أسبابه منها ما هو سياسي، ومنها ما هو تربوي، ومنها ما هو نفسي، ومنها ما هو اقتصادي، ومنها ما هو ثقافي ومن الأسباب السياسية: التي تتعلق بواقع الأمة من احتلال أراضيها وقتل أبنائها ومصادرة ثرواتها وكشف أستارها وإسقاط هيبتها. ومن الأسباب الاقتصادية المسببة للغلو: الفقر عند الإنسان وما يفعل من أمراض جسدية، وأمراض نفسية وعدم القدرة على التعليم، وعدم العدالة في توزيع الثروات ويوافق ذلك هوى في النفس تتوافق نفسياً مع بعضها، مما ينمي روح العداة والغلو تحت مسمى الدين أو غيره. ومن الأسباب النفسية التربوية: الفراغ الروحي الذي يحيط بالشباب، فهو كفيل في ضياعهم وربما انحرافهم، مما يسهل توجيههم واستغلالهم من قبل أي إنسان كان وحسب رغبته وخططه وربما كان هذا الفراغ سبباً للجريمة والإفساد في المجتمع (القرضاوي، الصحوة الإسلامية، مرجع سابق).

٣- قسم صنف الأسباب إما بسبب ضعف التفقه بالدين أو ضعف الخبرة بالواقع. ومن أمثلة ذلك: أما عن ضعف البصيرة بحقيقة الدين المقصود به هنا هو نصف العلم الذي يظن صاحبه انه دخل به في زمرة العلماء وهو يجهل الكثير والكثير، ولا يربط الجزئيات بالكليات ولا يرد المتشابهات إلى المحكمات (القرضاوي، مرجع سابق) وضعف البصيرة بالواقع والحياة والتاريخ وسنن الكون: هو عدم الوعي بالواقع والحياة لأوهام رسخت في رأسه لا أساس لها من سنن الله في خلقه ولا من أحكامه في شرعه، وهو يريد أن يغير المجتمع كله، أفكاره ومشاعره وتقاليده وأخلاقه وأنظمتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بوسائل واهية وأساليب خيالية (القرضاوي، مرجع سابق).

ومن هنا كانت رؤية الباحث للأسباب مختلفة يبرزها في النقاط الآتية:

أ- اعتماد الباحث مرتكز على وجود غلو في المجالات المختلفة من بينها الغلو في الدين فهذا منهج في تفكير أي إنسان فعال ينتج عنه أنماط سلبية مختلفة في طرائق التفكير وفي أنماط السلوك.

ب- أي سلوك أو فعل بشري مرده إلى وجود تصور معين، والغلو قول أو فعل أو معتقد ناتج عن تصور وهذا التصور هو خلل فكري.

ج- ينه الباحث أنه لو تم التمعن في الأسباب الآنفه الذكر والتصنيفات المختلفة لوجدناها راجعة إلى آفات في فكر الغلاة وظروف ضاغطة عليه، وأن هناك تشابهاً بين الكتابات الإسلامية والكتابات الوضعية في أسباب الغلو غير أن القلب مختلف. فالجهل وقصور الوعي بالواقع والضغوط الاقتصادية والسياسية والظروف الاجتماعية مردها إلى عوامل أنتجت مرضاً فكرياً هو الزيادة والمبالغة في حد الأمور.

د- كما يلحظ في بعض الدراسات الخاصة بالموضوع خلط واضح بين الأسباب والمظاهر.

ومن البدهي أن يرتبط الغلو بالجهل والجمود والانغلاق، بينما يرتبط الاعتدال حتماً بالوعي وبمستوى التقدم الاجتماعي.

الانعكاسات السلبية الناتجة عن الغلو في فكر الإنسان

أولاً: علاقة الغلو بالفكر الإنساني

١- مفهوم الفكر والتفكير

الفكر: إعمال الخاطر في الشيء؛ قال: وقد حكى ابن دريد في جمعه: أفكاراً، والفكرة كالفكر وقد فكر في الشيء وأفكر فيه وتفكر بمعنى كثير الفكر التفكير اسم التفكير (ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق). فالفكر إعمال الخاطر في الشيء، والتفكير كثرة الفكر، وربما غلب استعمال صيغة التفعيل لكثرتة وتعلق حياة الإنسان به.

والتفكير هو عملية معالجة للمعلومات، وتصنيف المعلومات ومقارنتها وتقييمها على ضوء منظومة الإيمان والاعتقاد والقيم، ومن ثم صياغة إستراتيجية ينتج عنها تعبير لغوي أو سلوكي كما ينتج عنها تأثيرات فسيولوجية في العضلات والتنفس وتعبيرات الوجه. (القرني، حتى لا تكون كلا)

والتفكير ضرورة إنسانية، وضرورة شرعية، فبدونه يفقد الإنسان إنسانيته، ودوره في الحياة. حيث إن القدرة على التفكير من خصائص الإنسان التي كرمه الله بها، فإذا أحسن الإنسان استخدام هذه الصفة ارتقى في سلم النجاح، وإذا عطل الفكر كان ذلك من أهم أسباب الفشل في الحياة، بل يمكنك أن تقول: إذا خلت الحياة من التفكير خلت من النجاح.

ب- تأثير الغلو على الفكر الإنساني.

الغلو غالباً ما يكون في دائرة الفكر، ويؤدي ذلك إلى وجود الانحراف في الأفكار وتحويلها إلى أفكار شيطانية شريرة لها تأثير عنيف ومدمر على أمن المجتمع وسلامته، و الفكر المنحرف أشد أنواع الانحرافات وأكثرها خطورة للنيل من أمن المجتمع بسبب آثاره السلبية على جوانب الأمن الوطني المختلفة كالأمن الاجتماعي والأمن الفكري والأمن السياسي والأمن الاقتصادي.

ولا بد للباحث من تعريف الانحراف الفكري: فهو انحراف الأفكار أو المفاهيم أو المدركات عن ما هو متفق عليه من معايير وقيم ومعتقدات سائدة في المجتمع وبصيغة أخرى، هو الفكر الذي لا يلتزم بالقواعد الدينية والتقاليد والأعراف الملزمة لأفراد المجتمع، ومن مظاهر هذا الانحراف ما يلي:

١- تعطيل البحث العلمي وانحرافه عن غاياته ومساره الصحيح، وينعكس هذا التنافر والانحراف على المؤسسات التعليمية، فتعمل كل ضد الأخرى وبذلك ينتهي أمر المجتمع إلى التفكك والانهيار.

٢- إخراج أفراد يتصفون بالسلبية والانفلات وانعدام موجبات السلوك والتواكل والجرية، مما يوقع هذه الفئات بشباك المادية الاستهلاكية الفقيرة إلى موجبات السلوك السليم.

- ٣- وجود طائفة من المتعلمين الذين تشيع في حياتهم التمرد على القيم والأخلاق واشتعال الصراع الاجتماعي، وهذا ما ضرب المجتمعات الإسلامية في العصور المتأخرة وأدى إلى الفتن وأسباب الانقسام.
- ٤- اتصاف السلوك الناتج عن هذا الانحراف الفكري بالنفعية الدنيوية، مما يعطل رسالة الدين في الإصلاح الاجتماعي ويكبله عن محاربة الشر، بل ويحيله إلى عامل دعم للشور اليومية الجارية (الكيلاي، فلسفة التربية الإسلامية، ٢٠٠٨).
- ٥- الفصل بين القول والعمل وهذا موجب لمقت الله وغضبه.
- ٦- القدرة على التضليل والخداع.
- ٧- تشويه الحقائق وقلب المفاهيم وطمسها.
- ٨- تبرير الغايات.
- ٩- التبسيط المخل ومعالجة الأمور والأشياء بنظرة غير متوازنة فينظر إلى توافه الأمور نظرة جديّة وصارمة ويرى عظام الأحداث بسطحية وتسفيه.
- ١٠- الميل إلى الخلاف والصراع.
- ١١- التناقض الفكري والسلوكي وبين ما يعلن وما يسر.
- ١٢- النزوع إلى العدا والانتقام، وجود حالة الرفض المبني على مبررات غير موضوعية أو منطقية للموقف والأحداث. وتعد هذه المظاهر دليلاً على اعوجاج فكري عن الحق والمنهج السليم. (القرني، حتى لا تكون كلاً، مرجع سابق). وقد أظهرت نتائج الدراسات أن اتجاهات الشباب نحو فكرة ما أو جماعة معينة تحدد وجهة نظرهم في التعامل مع هذه الفكرة أو تلك الجماعة، وكلما زادت سلبية الاتجاه نحو هذه الفكرة أو تلك الجماعة قلت معها مشاعر التسامح نحوها، وقد يؤدي توجيه هذه المشاعر السلبية نحو الجماعة إلى الاستجابة الموافقة لها من الطرف الآخر، الأمر الذي يعمل على استقرار الفكر كما تبين من خلال هذه الدراسات أن المتطرف متعصب لا يدرك الظروف والأحوال التي يمكن أن تعدل تفكيره ورأيه ويظل عقله منغلقة على ما لديه من أفكار (Taulor, M. and Rvan H. Fanaticism Political Suicide and (Terrorism, 1988).

إن تفسيرنا لسلوكيات الآخر يتأثر متأثراً بينا لاتجاهاتنا وقيمنا وهذا ينعكس في تقويمنا للأسباب التي ترجع إليها السلوكيات أو الظواهر الاجتماعية التي تضمها.

إن ما يطرحة الفرد من مبررات لما يعرض له من سلوكيات تتشكل من خلال ما يحمله الفرد من مفاهيم أساسية في إطار التفكير الاجتماعي، كما أن عقم بعض الجهود التي تختص بالتعامل مع هذه الظواهر من خلال المناقشة والإقناع يرجع إلى وقوعنا في خطأ منهجي يتمثل في محاولتنا هدم واقع الفرد الفكري من خلال إرجاعه إلى معايير ومفاهيم تنتمي إلى منظومتنا الفكرية.

ان الاضطرابات الفكرية تؤدي إلى انخفاض مستوى الشعور بالأمن والطمأنينة لدى الأفراد وعدم التأكد من النتائج ويساعد هذا المناخ على ظهور التوترات النفسية (الفن توفلر، صدمة المستقبل، ١٩٧٤)

فالانحراف الفكري يعطي الإنسان تسويغاً لعمله، وتفسيراً لجرمه، والدراسات تؤكد ذلك منها على سبيل المثال دراسة سالم البراق التي أجمع معظم أفراد عينة البحث على دور العامل الفكري في تكوين السلوك الإرهابي لجميع المنظمات المتطرفة والإرهابية (البراق، الإرهاب الوقاية والعلاج).

وانعكاس هذا الفكر على السلوك يظهر في أشكال متعددة، قد يأخذ بعضها شكل القول أو الكتابة أو غيرها من وسائل التعبير عن الرأي، وقد يتجسد الفكر المتطرف في أنماط أخرى من السلوك كارتداء زي معين، أو الامتناع عن سلوك معين، أما عندما يتحول الفكر المتطرف إلى أنماط عنيفة من السلوك أو الاعتداء على الحريات أو الممتلكات أو الأرواح فإنه عندئذ يتحول إلى إرهاب (لجنة الشؤون العربية والخارجية والأمن القومي، مواجهة الإرهاب، مرجع سابق) في أشكال متعددة وصور مختلفة بحسب الحال والزمان.

أجريت دراسة حول الفكر المتطرف والسلوك الدموي وأثبتت أنها وجهان لعملة واحدة، حيث أثبتت وجود علاقة مباشرة بين فكر الإرهاب الشاذ وبين سلوك الإرهاب الدموي كما أثبتت وجود علاقة مباشرة بين خلفية الفكر الإرهابي ومرجعياته وبين البيئة الخارجية المعادية للإسلام والمسلمين. حيث تحدث الباحث فيها عن الغلو في الفكر أو المسلك، وأن الغلو في الشيء والإمعان في التحرك في الفكر ومن ثم بالسلوك، يجعل رؤية

الحقيقة وكذلك رؤية الواقع من الصعوبة بمكان، فالمغالي يعيش في الموقع المنحاز الذي وصل إليه دون أدنى محاولة للخروج منه، فيلجأ من ثم إلى وسائل لفرض ما يراه (الفكر المتطرف والسلوك الدموي وجهان لعملة واحدة، Islamic.net).

إن الخلل الفكري الذي يحتاج العالم يعمل على إقصاء أبناء الأمة عن ثوابتها وقيمها المعتدلة والوسطية، ويبذر بذور اليأس والانزامية بين صفوفها وتحويل الولاء، إلى المزاعم الضالة والأفكار الشريرة مما يعمل على تفكيك وحدة العرب والمسلمين والطعن في مبادئهم وقيمهم ووحدهم مما يعرض الأمن الفكري للخطر من خلال إيجاد عناصر ضالة تنخر في جسم الأمة (الجنحني، دور التربية في وقاية المجتمع من الانحراف الفكري، ١٤٢٨).

إن الانحراف الفكري، هو أخطر وأشد أنواع الانحرافات لما يحدثه من تخريب مادي وتوهين للعزائم، وضياع للشخصية، وذوبان للخصائص المميزة.

٣- أخطاء التفكير الناتجة عن الغلو

يرى الباحث أن أول ما تحتاج إليه الأمة للتخلص من الغلو أن تبدأ بإصلاح الفكر وتقويمه؛ حيث إنها لا تستطيع أن تعالج أية مشكلة في أي جانب من جوانب الحياة بدون تفكير صحيح قادر على تصور المشكلة ورؤية أسبابها وجذورها وصلبها وعلاقتها التبادلية مع غيرها، ومع وجود خلل في التربية الفكرية فإن ذلك يقود الفرد إلى أخطاء أثناء التفكير، ذلك أن العقل البشري طالما أبدى ألواناً من العجز عن إدراك الواقع الذي نتصور فهمه والسيطرة عليه، والغلاة يغفلون عن إدراك الخلل الواقع في طرائق تفكيرهم. ولذا فإن الباحث يرتئي بيان النتائج السلبية للغلو في الفكر الإنساني المتمثل بمجموعة من أخطاء التفكير ومن ذلك:

١- لدى الغلاة رغبة جامحة في إقصاء الآخرين فهم الوحيدون القادرون حسب

رؤيتهم على فهم الحقائق والأمور.

٢- ولديهم أحادية في النظر، فالحقائق لديهم ليس لها إلا وجه واحد وطريق الحياة

ليس له غير مسار واحد في رؤيتهم.

٣- وكذلك فإنهم يحملون توجهات عقديّة وفكرية تؤكد ما لديهم من قناعات ولا يرغبون في التنازل عنها، كما أنهم غير مستعدين للتخلي عنها أو مناقشة الآخرين فيها (اليوسف دور المدرسة في مقاومة الإرهاب والعنف والتطرف).
 ٤- ولديهم فكرة الصواب الوحيد: فالأشخاص الأقل ثقافة لدينا مغرقون في استخدام الألفاظ الدالة على الأشياء المتوحدة، مثل: العامل الوحيد، والسبب الوحيد، والتفسير الوحيد، والحاجز الوحيد، والعيب الوحيد. أما الأشخاص الذين نعدّهم مثقفين فإن كثيراً منهم يشرحون لماذا يعتقدون بالعامل الوحيد والسبب الوحيد.

٥- وتعدّ صفة التهويل صفة بارزة في أصحاب هذا الفكر: فالتهويل يشكّل منتجاً من منتجات طغيان العاطفة على العقل، حيث إننا إذا أحببنا شيئاً حاولنا تأمين شرعية ذلك الافتتان عن طريق كيّل المدائح وإبراز المحاسن ورفعته إلى مستوى الأساطير والخرافات. وإذا أبغضنا شيئاً، حاولنا أيضاً تسويغ ذلك البغض، عن طريق إبراز مساوئه وعيوبه (بكار، خطوة نحو التفكير القويم، ٢٠٠٩).
 ٦- وأحد أنماط التفكير هو التفكير المبالغ: وهو التفكير الذي يعطي كل شيء أضعاف حجمه الحقيقي، سواء كان ساراً أو ضاراً، فعند سماعك لصاحب هذا النمط، تذهل من ضخامة الأمر وهو له الذي سيكون له من الآثار الشيء الكثير، وعند مباشرتك للأمر ورؤيتك له تجد الأمر عادياً وأقل من ذلك (القرني، حتى لا تكون كلاً، مرجع سابق)

٧- والغلاة يغلب عليهم الاغترار بالإمكانات الشخصية: فقد أوهم هذا الفكر الإنسان بأنه قادر على حل المشكلات، وإيجاد كل البدائل، ومثاله اليوم بعض طلاب الجامعات الذين لم يحصلوا إلا القليل من المعلومات، ولم يمتلكوا الرؤية المنهجية المطلوبة للتقدم في تخصصاتهم، ومع ذلك فإن الواحد منهم يشعر بأنه باحث خطير، وقادر على الاستقلال العلمي والفكري من خلال بحث صغير يقوم به.

٨- ومن ذلك أيضاً التعميم: تعاني الأمة اليوم من تسرع كثير من الناس إلى إطلاق الأحكام الكبيرة، والأحكام التعميمية دون أي خبرة، ودون أي وازع داخلي.

٩ - التفكير العجول: التسرع في التفكير يظهر في مجالين أساسيين؛ مجال الاتصال بالناس، وتحديد الموقف من كلامهم، ومجال الإنجاز الشخصي، فصار كل شيء معقداً، وصار اتخاذ القرار يحتاج إلى الكثير من الحذر والاحتياط.

١٠ - رؤية الأشياء من وجهة نظر خاصة: هذه الظاهرة تفشيت وأصبحت شيئاً عاماً، ومن النادر ألا يقع الواحد منا في هذا الخطأ في لحظة ما؛ حيث إن عاداتنا الفكرية تجعلنا دائماً نتمحور حول أنفسنا، وننظر إلى ما نستحسنه على أنه حسن حسناً مطلقاً، وما نستقبحه على أنه قبيح قبحاً مطلقاً (بكار، مرجع سابق).

١١ - وهذا الأمر ينتج التعصب للرأي وعدم الاعتراف بالرأي الآخر: في الأمور الاجتهادية والأمور المحتملة. ويعد التعصب من أهم علامات التطرف، حيث يعبر عن التصلب والتشدد لما يعتنق الفرد من أفكار وآراء وهو أسلوب يؤدي غالباً إلى إغلاق باب الحوار والفهم المتبادل، ويسد الطريق أمام فهم ما يستجد من أحداث وأفكار.

ثانياً: وسائل التأثير الفكري

من أهم الوسائل التي تعمل على التأثير في فكر الإنسان ما يلي: (الميداني، أجنحة المكر الثلاثة، ١٤٠٠هـ).

١ - تأليف الكتب في موضوعات متعددة عن الإسلام واتجاهاته، وعن الرسول (ﷺ) وعن القرآن الكريم، التي يقصد فيها مؤلفوها تشويه الحقائق وتزويرها والتحريف المتعمد، والتهريج والمغالطات، ومحاولة تصيد بعض الوقائع التاريخية، وغيرها وإخراجها على غير صورتها الحقيقية والعمل على تعميق هذه المفتريات في عقول الشباب.

٢ - إصدار المجالات الخاصة ببحوثهم حول الإسلام والبلاد الإسلامية والشعوب المسلمة، وتكريس الجهود من أجل النيل من الإسلام والمسلمين، وتحطيم معنوياتهم.

٣ - بعث الوفود الإعلامية والدعائية، والإرساليات التبشيرية تحت ستار الأعمال

- الإنسانية في المستشفيات، والجمعيات والمدارس وإجراء البحوث الميدانية.
- ٤- إلقاء المحاضرات ونشر المقالات في صحفهم، واستمالة رؤساء التحرير عندهم بالمال، وشراء ذممهم والعمل على عقد المؤتمرات والندوات، وإصدار الموسوعات التي تحتوي على الأباطيل والمغالطات عن الإسلام والمسلمين.
- ٥- استخدام كافة وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية والتقنية المعاصرة لخدمة أهدافهم وأفكارهم.
- ٦- استخدام الإغراء المادي، والإغراء الجنسي، والوعد بالجاه والسلطان، ومتاع السمع والبصر والمأكل والمشرب، والسياحات والرحلات والتزهات والتنقل واللهو، والضغوط والقيود لخدمة أهدافهم الشريرة.
- ٧- إثارة الشبهات، ودس الأفكار الفاسدة، واختلاق الأكاذيب والافتراءات، ومقابلة أحكام الإسلام وأركانها وتشريعاته بالاستهزاء والسخرية والازدراء، واحتقار العلماء والمفكرين والمصلحين والحط من اعتبارهم في المجتمعات الإسلامية.
- ٨- بث النظريات والأفكار والمبادئ الإلحادية المناقضة لأسس الإسلام وتعاليمه وفي مختلف المجالات الاعتقادية والأخلاقية، وفي كل ما يتعلق بأحكام العبادات وأحكام المعاملات.
- ٩- التفرغ والتشويه: وتتلخص هذه الخطة في ثلاثة عناصر هي من أخطر ما عرف الإنسان من عوامل هدم لمقومات أمة ذات مجد فكري ونفسي وأخلاقي وتاريخي، وهذه الخطة لا يستخدمها أعداء العرب والمسلمين فحسب، إنما المتطرفون من العرب والمسلمين الذين يدجون الشباب بالفكر المتعصب الظلامي البعيد عن سماحة الإسلام ووسطيته، ويخدمون أعداء أمتهم من حيث هم يدرون أو لا يدرون. وهذه العناصر هي:
- أ- تفرغ أفكار الأجيال الناشئة وقلوبهم ونفوسهم من محتوياتها ذات الجذور العقلية والعاطفية والوجدانية والأخلاقية وانتزاع آثارها.
- ب- بعد تفرغ الأجيال من المبادئ والقيم تأتي مرحلة الإملاء والتعبئة لعقولهم

ج- وقلوبهم ونفوسهم، بأفكار وآراء جديدة تخدم غايات محددة وتخلخل كيان الأمة وتهز أمنها واستقرارها الفكري والمادي والاقتصادي.

د- تسخير الأفواج الضالة التي تم إعدادها وتدريبها لتقوم بتطويق أمتها، ومحاربتها على جميع المستويات.

ويتضح للباحث من خلال ما سبق أن الغلو في الانحراف الفكري هو تصور ذهني وطريقة منحرفة في التفكير تنتج عنها سلوكيات سلبية تؤثر على المستويين الفردي والجماعي في الأمة الإسلامية في كل المجالات، فالباحث يهيمه من موضوع الغلو آثاره في كل مجالات الحياة التي تسبب الفشل وعدم النجاح جراء انحراف الفكر والسلوك الإنساني. وما دام التفكير هو ميزان الأعمال، فكلما انحرف التفكير انحرف السلوك، فالغلو انحراف في التفكير ينتج انحرافات فكرية سلبية وأخطاء في التفكير البشري، الأمر الذي يؤدي إلى إنتاج سلوكيات سلبية ضارة بالمجتمع ككل.

ثالثاً: الدور التربوي الوقائي من الانحراف الفكري.

آثار الانحراف الفكري لا تقتصر على زعزعة الأمن والاستقرار، بل تنعكس على المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والنفسية والأخلاقية والإعلامية، فهو يؤثر على كافة المجالات تأثيراً سلبياً.

وللدور التربوي الوقائي ضد الانحراف الفكري والسلوكي دور يتجسد في خطط وبرامج ومقررات دراسية موجهة نحو الطلاب والطالبات لتنشئتهم وفق سلوك اجتماعي سليم، وتحصينهم بالمبادئ والقيم الدينية والأخلاقية وتنمية شعورهم بالانتماء والولاء والواجب، وصقل شخصيتهم الإنسانية وتأهيلها وتعودها على الالتزام بالوسطية والاعتدال والسلوك الاجتماعي المسئول، وهذا العمل لا يمكن أن ينجح إلا إذا تعاونت على تحقيقه الأسرة والمدرسة وأجهزة وسائل الإعلام ورعاية الشباب وكافة الجهات الرسمية والأهلية التي تعمل في ميدان البناء التربوي والاجتماعي، وهذا هو صمام الأمان لوقاية المجتمعات من الانحراف الفكري وكافة الجرائم التي تتصاعد نسب معدلاتها عاما بعد عام.

وهذا يجتم علينا النظر إلى الأمن بمنظار شامل يستوعب كافة الجوانب: التربية والتعليم، والاقتصاد، والسياسة، والقضاء، والإعلام، والإدارة المحلية، والأمن بمفهومه الشامل، ومن هنا لابد من التركيز في المعالجة على عدة مستويات يذكر الباحث بعضاً منها:
أ- دور التربية والتعليم

ويكمن دور التربية والتعليم، والمؤسسات التعليمية في تحقيق الأمن الفكري لدى الناشئة من خلال ما يلي:

١- ترسيخ العقيدة الإسلامية الصحيحة والتمسك بثوابتها، وتعزيز قيم الوسطية والتسامح والاعتدال من خلال المناهج التربوية.

٢- تضمين مناهج التربية والتعليم ما يحسن الطلاب فكراً وأمنياً من أي زيغ وانحراف عن جادة الصواب.

٣- توعية الطلاب بأخطار التكفير والغلو بالدين، وأخطار ومضار الإرهاب الدينية والاجتماعية والأمنية والسياسية.

٤- الاهتمام بحسن اختيار عضو هيئة التدريس في جميع المراحل التعليمية من خلال معايير دقيقة تكفل وتضمن تبنيه الوسطية والاعتدال والبعد عن الغلو والتطرف فكرياً ومنهجياً وسلوكياً والحرص على سلامة فكره وتحصينه تحصيناً سليماً.

٥- تضمين المناهج الدراسية شرحاً وافياً لأحكام الإسلام ومقاصده فيما يستند إليه دعاء الانحراف الفكري لتبرير أقوالهم وأعمالهم.

٦- ربط مناهج التعليم بواقع الحياة ومشكلات المجتمع الفكرية المعاصرة وتوظيفها لإيضاح مدى خطورة الانحراف الفكري لتحصين الطلاب في مواجهة ذلك.

٧- غرس المفاهيم الصحيحة في عقول الناشئة بما تشتمل عليه من حصانة فكرية، ووعي أمني والحفاظ على المكونات والموروثات الثقافية الأصلية في مواجهة التيارات الثقافية الوافدة والمشبوهة والإسهام في تهذيب السلوك القيمي. أما تجنب وقوع الطلاب في مهاوي الانحراف الفكري فيتم من خلال قيام الأسرة والمدرسة بالآتي:

أ- التنشئة الأسرية السليمة.

ب- الاهتمام بالمحاور الأساسية في العملية التعليمية وهي: الطالب، الأستاذ، المنهج وبيئة المدرسة، وذلك بالحرص على إيجاد المدرس القدوة، الذي يمتلك مهارة فتح قنوات الحوار والتداول والتواصل مع الطلاب ومنحهم الفرص ليعبروا عن أنفسهم وأفكارهم، دون تسفيه أو مصادرة أو فرض آراء وأفكار المعلمين والمربين بالقوة حول بعض الموضوعات والقضايا التي تهم المجتمع.

ج- الالتزام بالقيم والثوابت العقيدية والتقاليد المرعية النابعة من التعاليم والقيم الإسلامية النقية.

د- تبصير الناشئة وتنويرهم بالأخطار المحدقة بهم من حروب وكوارث، واجتياح فكري وثقافي لثوابتهم الأصلية ومرجعيتهم النقية، والعمل على مساعدتهم على تنمية قدراتهم على اكتساب الحصانة الذاتية.

هـ- مساعدة الطلاب على الانتقاء المهني السليم لتخصصاتهم الدراسية ومستقبلهم المهني والوظيفي، واحترام العمل المهني والحرفي، والتحذير من رفاق السوء.

و- تشجيع الطلاب ودفعهم إلى الاطلاع والقراءة وحب العمل، وإشراك الطلاب في كافة أنواع النشاط الثقافي من ندوات ولقاءات ومحاضرات ومسرح وإلقاء، بما يساهم في توسيع دائرة ثقافتهم في مختلف جوانب الحياة.

ز- تضمين المناهج الدراسية بعض المعلومات عن الأمن بمفهومه الشامل.
(الخطيب، أصول التربية الإسلامية)

ح- تضمين مناهج التربية الإسلامية الإجراءات الوقائية للانحراف الفكري ومنها (الخطيب، عمر، دور مناهج التربية الإسلامية في الوقاية من الإرهاب):

- التركيز على جوانب العقيدة الإسلامية الإيجابية والمؤثرة على السلوك: فبقدر ما تكون صورة العقيدة متصلة بحياة الطالب من حيث الظاهر

والباطن، ومن حيث إدراك قيمته في الحياة بقدر ما يكون له أثر فعّال في سلوكه.

- تكوين الرغبة في الاعتقاد فمن لا يرغب في الاعتقاد بشيء ما لا يعتقد ولو ذكرت له جميع الأدلة العقلية والعملية ولهذا لما تكلم الله عن هؤلاء الذين لا يريدون أن يؤمنوا لا لعدم وجود الأدلة وإنما لعدم رغبتهم في الإيمان قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ ١١١ ﴿(الأنعام)، ومن وسائل تكوين الرغبة في الاعتقاد:

- بيان أن في ذلك الاعتقاد مصالح للبشرية تفوق أية مصلحة أخرى .
- إزالة العوائق التي تحول دون رغبة المرء في الاعتقاد كالتعصب والعناد والتكبر، فالواجب على معلمي التربية الإسلامية إزالة كل تلك المعوقات التي تعوق الاعتقاد الصادق مهتدين بقوله تعالى في ذلك: " ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ " (سورة النحل، آية ١٢٥).

- تكوين عاطفة قوية دافعة إلى السلوك بموجب الإيمان، فمن خلال عاطفتي الحب والخوف يمكن تنمية التربية الإيمانية، ولهذا يجب أن نجعل الطفل يحب الله ويحب المبادئ الأخلاقية باعتبارها أوامر إلهية وأن نجعله يخاف الله في الوقت نفسه من أن يعصيه في ترك أوامره وارتكاب محرماته .

- التمييز بين الوسيلة المتغيرة والهدف الثابت. من أسباب الخلط والزلل في الفهم أن بعض الناس خلطوا بين المقاصد والأهداف الثابتة التي تسعى السنة إلى تحقيقها، أن المهم هو الهدف، وهو الثابت والدائم، والوسائل قد تتغير بتغير البيئة، أو العصر.

- تكوين روح التعلق بالمجتمع الإسلامي. وهذه الروح ضرورية للفرد للعيش في الحياة الاجتماعية، فلا يمكن أن ينجح في حياته في المجتمع إذا

عمل لمصلحته الخاصة باستمرار دون مراعاة شعور الآخرين وحقوقهم الطبيعيّة، ولا يمكن أن تنجح حياته أيضاً إذا عاش منعزلاً فإن حياة العزلة إذا استمرت لا ينجو الفرد من عواقبها الأليمة، بل يصاب في النهاية بأمراض نفسيّة.

- التركيز على حفظ الضرورات الخمس وإكساب الطلبة مهارات التعامل الحياتيّة . فمن أخص مميزات التربية الإسلاميّة وأهدافها أنها تسعى لإيجاد الإنسان الإيجابي الذي يكون عنصراً صالحاً مُصلحاً فاعلاً أينما كان وفي أي بلد، فالإسلام منهج حياة ينظم للمرء علاقاته مع ربه ومع نفسه ومع المسلمين ومع الناس أجمعين، ومن هنا تصبح الأصول الدينيّة وهي: (حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ المال، وحفظ النسل)، ولب المجالات التربويّة والتعليميّة؛ فيجب أن ينظر إلى هذه الأصول نظرة جديدة يتخذ منها مرتكزات ومحاور لتنشئة أطفالنا التنشئة الاجتماعيّة الصحيحة.

ب- دور المساجد والقائمين عليها في تحقيق الأمن الفكري

يتمثل هذا الدور فيما يلي:

- ١- ترسيخ وسطية الإسلام واعتداله وعدالته في المجتمع، والتعريف بالأفكار الضالة والآراء الهدامة المنحرفة للتحذير من الوقوع فيها، ومراعاة ألا تكون المساجد بمرافقها وأنشطتها المختلفة منطلقاً للأفكار المتطرفة.
- ٢- بيان موقف الإسلام من الغلو والتطرف والتكفير لخطورة النتائج المترتبة على كل منهما.
- ٣- توعية المجتمع بالأحكام المتعلقة بالجهاد وضوابطه وشروطه، وتصحيح مفهوم المصطلحات الشرعية كالولاء والبراء وغيرها لدى عامة الناس.
- ٤- المبادرة كلما اقتضت الحاجة لبيان موقف الإسلام من القضايا المعاصرة التي تهم المجتمع.

- ٥- أن يسهم المسجد في تأصيل الولاء والانتفاء وتحقيق المواطنة الصالحة. (المالكي، نحو بناء استراتيجية وطنية لتحقيق الأمن الفكري في مواجهة الإرهاب)
- ٦- تحصين فكر وعقول الشباب من أي انحراف فكري مضلل موجه من وسائل الإعلام المعاصرة، وتحذير الشباب من خطورة الانجراف وراء الجماعات المتطرفة، ويمكن الوصول إلى ذلك من خلال مجموعة من الآليات منها: خطبة الجمعة، الندوات الدينية الموجهة، المحاضرات، البرامج والحوارات المتلفزة، والمؤلفات العلمية، الشريط المتوازن الطرح والمنهجية.
- ٧- اختيار رجال الدعوة والوعظ والإرشاد من المتعمقين في العلوم الشرعية لكي يصبحوا نماذج يحتذى بها الشباب بدلاً من الانسياق وراء نماذج تحثهم على التطرف والغلو.
- ٨- حث الخطباء ورجال الدعوة والوعظ والإرشاد بالتركيز على التوعية الأمنية وتوضيح مخاطر الانحراف والتطرف.
- ٩- التأكيد في الخطاب الديني على وسطية الإسلام وإشاعة روح التسامح وقبول الآخر والبعد عن الغلو والتكفير.
- ج- دور الإعلام في تحقيق الأمن الفكري
- إن للإعلام دوراً عظيماً في تحصين الناشئة ووقايتهم من أي محاولة لاستدراجهم نحو الفكر المنحرف والتوجيه الضال، من خلال ما يلي:
- ١- تحصين الناشئة ثقافياً وتعزيز روح الانتماء ضد الأفكار الدخيلة والفكر المنحرف، وكل ذلك يسهم في تكوين ثقافة أمنية تربوية وفكرية وواقعية معتدلة. ويوجد جيلاً واعياً مدركاً لما يحاط به وبدينه ووطنه من مخاطر وفتن.
- ٢- إبراز العلماء ذوي التوجهات المعتدلة المتوازنة إعلامياً وفضائياً ليكون في انتشارهم ووجودهم ضماناً للاعتدال والتوازن والوسطية.
- ٣- إعداد برامج إعلامية تروج لثقافة الاعتدال ونبد العنف، واستخدام ما يتيح في الخطاب الإعلامي لترشيده وتقويته.

٤- رسم إستراتيجية سليمة تنبثق من هدي الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح من أجل المحافظة على فكر الشباب من أي شبهة بما يحقق مقاصد الشريعة، ويبعد المجتمع عن الانحراف في الفكر والتطرف والتشدد. (إبراهيم حسن، إدانة الانحراف الفكري في دول الخليج).

التأج

- ١- أن الجهل بأحكام الدين يؤدي إلى الغلو من ثم يؤثر في التفكير الإنساني.
- ٢- اتباع الهوى في تأويل النصوص تؤدي إلى الغلو في التفكير.
- ٣- عدم تفعيل القانون في ضبط المخالفات الشرعية يؤدي إلى الغلو ومن ثم إلى العنف والإرهاب.
- ٤- أن الفساد السياسي والاجتماعي والتربوي يؤدي إلى الغلو والتطرف ويؤدي في النهاية إلى التفكير في الجريمة.
- ٥- أن الغلو يؤدي إلى الانحراف في التفكير وتحويله إلى فكر شيطاني ويقود صاحبه إلى الإرهاب والتطرف.
- ٦- أن من مظاهر الانحراف الفكري تكفير الحكام وعامة المجتمع.
- ٧- أن للإعلام دورا كبيرا في تحصين الناشئة من الفكر المنحرف والمتطرف من خلال الندوات والمحاضرات وفتح المجال أمام العلماء الذين يتصفون بالوسطية.

التوصيات

يوصي الباحث بما يلي:

- ١- تربية الأجيال التربوية الإيمانية الصحيحة على منهج القرآن الكريم والسنة النبوية.
- ٢- إيجاد مرجعيات صحيحة ومقبولة، تنال ثقة الشباب.
- ٣- توحيد وتنظيم جهود العلماء والدعاة والمفكرين، لتكون مهمتهم جمعيا رسم الوعي المنشود.

- ٤ - توحيد مصدر الفتوى في العالم الإسلامي في القضايا الكبرى.
- ٥ - تعليم الأجيال وخاصة الشباب العلم الشرعي الصحيح من منابعه الصحيحة على أيدي العلماء المخلصين.
- ٦ - فتح قنوات الحوار والتواصل مع الشباب من قبل العلماء والدعاة بروح الأبوة للتعبير عما يدور في عقولهم.
- ٧ - تضمين المناهج التعليمية بالمادة الدينية الكافية لتكوين الشخصية الإسلامية المعتدلة.
- ٨ - القيام بدراسات وبحوث علمية، تتناول الشبهات حول الغلو والتطرف، والرد عليها بطرق علمية صحيحة وتوفير ذلك للشباب.

المراجع

- بكار، عبد الكريم، خطوة نحو التفكير القويم ثلاثون ملمحا في أخطاء التفكير وعيوبه، دار الإعلام، ٢٠٠٩.
- البراق، سالم، الإرهاب الوقاية والعلاج، المركز العربي للدراسات الأمنية، الرياض، ١٤٠٧.
- توفلر، الفن، صدمة المستقبل، ترجمة أحمد كمال أبو المجد، القاهرة، دار النهضة، مصر، ١٩٧٤.
- ابن تيمية، تقي الدين أحمد، اقتضاء الصراط المستقيم، تحقيق، د.ناصر العقل، مكتبة الرشد، ط٢، ١٤١١.
- الجحني، علي فايز، دور التربية في وقاية المجتمع من الانحراف الفكري، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض، ١٤٢٨.
- جرائم العنف وطرق مكافحتها، الأمانة العامة لمنظمات الدفاع الاجتماعي ضد الجريمة، المؤتمر السابع لقادة الشرطة (العرب)، المجلة المحلية العربية للدفاع الاجتماعي، عدد (١٠)، ١٩٨٢، يوليو.
- الجندي، أمينة، التطرف بين الشباب، كيف يفكر طلاب الجامعات المصرية، المنار، السنة الخامسة، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣.
- حامد، عبد الحكيم محمد، ظاهرة الغلو في الدين في العصر الحديث، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة، الرياض، ١٤١٢.
- الخطيب، عمر سالم، دور مناهج التربية الإسلامية في الوقاية من الإرهاب، بحث منشور على الإنترنت، 2009/9/1/ahu.edu.jo.
- الخطيب، محمد، أصول التربية الإسلامية، الرياض، دار الخريجي.
- الصالح، علي بن سليمان، الغلو والفرق الغالية في العقيدة الإسلامية، رسالة دكتوراة منشورة، الرياض، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٠.
- العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري.

ابن فارس، أحمد: معجم المقاييس في اللغة، تحقيق، شهاب الدين ابو عمر، دار الفكر، ط٢، ١٤١٨.

الفكر المتطرف والسلوك الدموي، وجهان لعملة واحدة، لبنان، ٢٥ / ٤ / ٢٠٠٥، على الانترنت Islamidaily.net ٢٥ / ٨ / ٢٠٠٩.

القرضاوي، يوسف، الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، كتاب الأمة، قطر، ط٣، ١٩٨٢.

القرني، عوض بن محمد، حتى لا تكون كلا، طريقك إلى التفوق والنجاح، كتاب منشور على الانترنت saaid.net.

الكيلاي، ماجد عرسان، فلسفة التربية الإسلامية، دبي، دار الحكم، ط١، ٢٠٠٨.
اللوحيق، عبد الرحمن بن معلا، مشكلة الغلو في الدين الحاضر، الأسباب، والآثار والعلاج، رسالة دكتوراة منشورة، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٠.

اللوحيق، الغلو في حياة المسلمين المعاصرة، رسالة ماجستير منشورة، كلية الشريعة، الرياض، ١٤١٢.

ابن منظور، لسان العرب، دار الفكر، ط١، ١٤١٠.

الميداني، عبد الرحمن، أجنحة المكر الثلاثة، دمشق، دار القلم، ١٤٠٠.

اليوسف، عبد الله عبد العزيز، دور المدرسة في مقاومة الإرهاب والعنف والتطرف، على الانترنت Aculty.Ksu.edu.sa ٣٠ / ٨ / ٢٠٠٩.

المراجع الأجنبية

Taylor M and ,Rvan H. (1988) Fanaticism Political Suicide and Terrorism U.K :Carmc RUSSAK.